**المحاضرة العاشرة : الرمز الصوفي**

**تمهيد :**

يعج مبحث التصوف الإسلامي بالمفاهيم الذوقية والمصطلحات الحاملة بمعان تترجم تجارب روحية عميقة فهي تعد الباعث الأول لتوظيف الرمز انطلاقا من علاقة الصوفي بالعالم إذ تتميز بنوع من الخصوصية تجعله مختلفا عن الشاعر في الرؤية والأداء .

**1- الرمز الصوفي :**

كان ظهوره مع بداية تلاوة القرآن بسلوك خاص يقلب الأصوات والكلمات، رموز تثير في الصوف نزعة فناء الذات داخل العالم، وهو ما اصطلح عليه بالذكر، وهي حركة منظمة من حيث مخارج الحروف ومنازلها والترتيب الصوتي للكلمات عند النطق، حركة تستحضر، ما أودع من معاني الألوهية، خلف كل حرف قرآني وكوني، إن للرمز الصوفي" رنة موسيقية خاصة يجعله يخترق آذان السامع بشكل يدفعه إلى الانجذاب التدريجي ثم الكلي.

2**- الرمز في الخطاب الصوفي :**

الرمز أسلوب من أساليب التعبير شاع في الكتابات الصوفية ، نثرها وشعرها ، أسلوب ألجأتهم إليه الحاجة ، فهم يتكلمون أو يكتبون عن مشاهد لا عهد للغة بها فمن الإذن أن يلجؤوا إلى هذا الأسلوب الذي يعينهم بعض الشيء على نقل أفكارهم وتصوير إحساساتهم ، ويتجه الأدب الصوفي اتجاها رمزيا في معالجة الظواهر الكونية وفي التعبير عن التجربة الروحية ، التي يمارسها العارفون من الصوفية، ومن الرموز التي كانت أكثر تداولا في الخطاب الصوفي نذكر :

**1/ رمز المرأة :**

يظفر دارس الأدب الصوفي بشعر وفير بدت فيه المرأة رمزا موحيا دالا على الحب الإلهي ، ويعد الشعر الشعر الصوفي من هذه الوجهة شعرا غزليا ثم للصوفية فيه التأليف بين الحب الإلهي والحب الإنساني ، والتعبير عن العشق في طابعه الروحي من خلال أساليب غزلية موروثة كان قد تم تكوينها ونضجها الفني ، فما المرأة في تعبير الصوفي عن الحب الإلهي إلاّ الرمز الأكمل لتجلي الألوهية ، وهذا ما صاغه ابن عربي في عبارته : فشهوده أي الصوفي للحق في المرأة أتمّ وأكمل ...إذ لا يشاهد الحقّ مجرّدا عن المادّ أبدا.

**2/ رمز الخمر :**

وظف الشعراء الصوفية رمز الخمر ليبرزوا حبهم لله وحالة النشوة التي يحسون بها ، إن الخمر الذي يشير إليه ابن الفارض وبقية شعراء الصوفية لا يربطه بالخمر العادي إلا الاسم وذلك لأنه وجد قبل خلق الكرم نفسه يقول ابن الفارض :

**يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم**

**صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم**

يقول الحلاج :

**وسكر ثم صحو ثم شوق وقرب ثم وصل ثم أنس**

**وقبض ثم بسط ثم محو وفرق ثم جمع ثم طمس**

إن الشراب الصوفي ليست خمرة تدير الرأس وتثقل الحواس وتضرب غشاوة على القلب ، بل هي على العكس توقظ النفس ، وتنعش الوجدان وتجلو عن البصيرة وتفتح أمام القلب أرحب الآفاق.

3**/ رمز الطيور :**

تستعمل الطيور في كثير من الثقافات كرمز إلى الروح الإنسانية كما تستعمل كرسل سلام وحب بين الأرض والسماء ، وذلك بسبب قدرتها على الطيران ، إن طيران العصافير في الأدب الصوفي غالبا ما يكون بحثا عن المحبوب ، لعل أشهر وأفضل ما وظف في رمز الطيور نذطر كتاب منطق الطير لفريد الدين العطار ، فقد رمز العطار للنفوس البشرية بالطيور ، وكل طير يمتلك معرفة ويحمل رسالة ...وورد رمز الطير في طواسين الحلاج وأشار إلى أربعة منها : العنقاء ، الورقاء ، الغراب والعقاب ، وهي في جملتها رموز معبرة عن رغبة دائمة عارمة عند الصوفي في التحليق بحرية غير محدودة في سماوات لا نهاية لها.

**4/ رمز النور :**

اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته ، وهو مبدأ الإدراك ورمز للمعرفة والخلاص عند الصوفية ، وتتفرع عنه رموز أخرى كالتطهير والنجاة وغيرهما.